التطورات الدينية الحديثة

الأديان كغيرها من العناصر الاجتماعية دائمة التغيير والتبديل ، وسنحاول أن نعرض فى هذا الفصل لبعض الأفكار التى قامت فى العالم منذ النهضة الأوربية فاعتنقها الكثيرون ، فسارت نحو الانتشار وما زالت تجد كثيراً من المرحبين بها

ابتدأت هذه النهضة بلوثر فقد رأي من نظام البابوية وأخلاق البابوات ما اسخطه فقرر مبدأ تقرير المصير للنفس والانسانية ، وأن خلاص الانسان ليس قضية يحكم فيها الكهنة والكنيسة وإنما هو مسألة خاصة بين الانسان وربه ولاشأن لحكومة أو فرد أو أى هيئة أخري ان تتدخل فيها وقال ان الطقوس الدينية يجب أن تتبع أحكام العقل ولذلك ألغى الطقوس التى لا تتفق ومطالب الحياة أو لا تتماشى مع العقل

ولما أتى القرن الثامن عشر كانت هذه النهضة قد أثمرت وأينعت فابتدأت تظهر بفرنسا نهضة أدبية ، ولكنها فى آثارها وصميمها كانت أكبر من ذلك ، كانت دعوة حارة إلى تحرير الذهن البشرى والاكبار من شأنه والاعتماد عليه ، وكان جميع أبطالها ينظرون إلى أوربا بل الى الدنيا كلها كأنها وطنهم الأصلى وكان أبطالها البارزون فولتير وروسو وديدرو

والنهضة الثالثة ظهرت فى منتصف القرن التاسع عشر حيث ظهر كتاب داروين أصل الأنواع (١٨٥٩) فجعل التفكير فى الأصل والحال والمصير للانسان تفكيرا بشريا ، وتتلخص نظرية داروين فى أن الانسان والحيوان يرجعان إلى اصل واحد ، وأن الموضوع يتعلق بالعلم ، إلا أنه كان سبباً لحرب قاسية قامت بين رجال الدين والعلم مدة أربعين سنة تقريبا فى جميع أنحاء أوربا

هذه هى الحركات القوية التى كان لها أثر بين فى ظهور ما سنعرض له من مذاهب دينية ظهرت فى خلال القرن التاسع عشر ، وقد زاد من تأثيرها التغيير الاقتصادي الذى طرأ على العالم منذ حدوث الثورة الصناعية وأهم هذه المذاهب : الاشتراكية والصوفية الحديثة والبهائية والبشرية

مرت فكرة الانسان عن القوة الروحية فى تحولات عديدة كان آخرها تلك الأزمات الدينية التى سنتحدث عنها والتى تتميز بصعوبة الانسجام مع الظروف المحيطة بها ، ويرجع ذلك إلى عظم التغير الذى أصاب الانسان فلم يعد يرى الاعتقاد بالاله مهماً ، فأخذ يبحث عن إله غيره : شخص قادر على المساعدة وفى نفس الوقت لا يدفعه الاعتقاد فيه إلى عدم الاخلاص للعلم ، لأن للانسان حياة ، ويعلم من تجاربه مصدرها ليس فى الأكل والشرب بل أيضا فى العقيدة الروحية . إن هذه هى المشكلة التى حاول حلها كونت وكانت وعلماء الأخلاق والنفس . والواقع ان لكل حل الحق فى

أن يسمى دينا إذا ساعد على حفظ وتقدم الحياة بطريق الايمان بقوة روحية أعلى من الانسان

كان من أثر الانقلاب الصناعى فى أوربا والتقدم الاقتصادى ظهور الأفكار الاشتراكية التى ترمى إلى تغيير نظام الجماعة تغييرا كليا وكان روبرت أوين « ١٧٨١ — ١٨٥٨ » أول المبشرين بالأفكار الاشتراكية الحديثة أخذ ينادي بوجوب استيلاء العمال على انتاجهم ليتصرفوا به حسب احتياجاتهم . ومن أجل ذلك اخذ يوحد صفوف العمال ويؤسس النقابات ، وفى عام ١٨٣٣ توصل إلى جمع نقابات العمال فى حزب واحد سماه « حزب العمال الاشتراكى »

فى الوقت الذى كان أوين يجاهد فيه بانجلترا فى سبيل تخليص الانسانية من بؤسها الغارقة فيه من جراء النظام الفردى ، كان سيسموند « ١٧٧٣ — ١٨٤٢ » بفرنسا يحاول أيضا تحقيق هذا الغرض . أخذ يهاجم الرأسماليين وذهب إلى أن تقدم الميكانيكيات ومزاحمتها العمال من شأنها أن تقضى على عدد كبير منهم بالبطالة — كما انها تسبب زيادة الانتاج على الاستهلاك وتحصر رؤوس الأموال والاملاك فى أيدى فئة صغيرة من الناس مما يتسبب عنه أزمات شديدة الخطورة

وفى سنة ١٨٢٤ قام وليم تومبسون تلميذ الفيلسوف بنتام وكان متأثرا بمؤلفات سيسموند وأخذ ينادي بأن من حق كل انسان أن يتمتع بانتاج عمله ، وبالغاء أرباح رأس المال والاملاك الخاصه

وقد تطورت الآن الاشتراكية إلى شكل دينى ، ولو كان لها اله معين يعبده الناس لتم لها النصر بسرعة ، وقد اطلع رسلها على تلك الضرورة بغريزتهم ، ولكنهم لم يجرؤوا على مطالبة الشعب بعبارة كارل ماركس اليهودي الذى هو حبرها النظرى

لم تستهو الآلهة المجردة قلب الجموع قط ، ولذلك تفتقر الاشتراكية ذات المبادىء والتعاليم الى رب تدعو الناس الى عبادته ، وليس عليها أن تنتظر كثيرا ليتمثل لها هذا الرب ، إذ أن الآلهة هى بنت الحاجة . وما فى الاشتراكيه من قوة يشتق على الخصوص من كونها وارثة لتعاليم المسيحية ، فقد استعارت مبادىء الاشتراكية من السلف النصرانى ، المتعطش الى المساواة ، وحب الغير ، ولوم الأغنياء . ولذا أصبحت الكنيسة فى بلجيكا حليفة الاشتراكية ، فهى تستحسن فيها اعتصابات العمال علنا . وتشجع على تنازع الطبقات

ولرسل الاشتراكية ما لأنصار المسيحية السابقين من توقد الروح مما يظهر فى كثير من الرسائل والمقالات التى ينشرها عوام الاشتراكيين وعلماؤهم . والواقع ان العالم لا يدخل الى دائرة المعتقد من غير أن يفقد اعتداله وصوابه . ولا فائدة من لومه على ذلك . فللمعتقد على المرء أيا كان سلطان قاهر تتعذر مقاومته

يرجى للاشتراكية الفوز لأنها تستهوى بوعودها أفئدة الساخطين المتذمرين والفقراء وهم

السواد الاعظم من سكان العالم ولانها تسد النقص الملموس الناتج عن التقدم العلمي وظهور المخترعات والآلات ولانها وسط بين نظامين يتألف منهما المتدينون وهما الشيوعية والفردية وقد أخذت منهما حسناتهما ونفضت عنها نقائصهما الظاهرة

وسعادة الاشتراكية المدعوة دنيوية تنال فى هذه الحياة لا فى حياة أخرى وانها لذلك قد تعجز بسبب من الاسباب عن انجاز وعودها تامة كاملة ولكننا لا ننسى كذلك أن الكمال فى الدنيا ضرب من المستحيلات وانه وان كانت الاشتراكية لن توصل معتنقيها لحالة من النعيم لا مطلب خلفها الا أنها قد تستطيع أن تنتشلهم من حالتهم الى ماهو خير منها .وليست الاشتراكية نهاية ما يمكن أن يتطور اليه النظام الاجتماعى وعليه فالتطلع للأحسن سيدفع الناس دائما للتنقيب عما فيه سعادتهم ورفاهيتهم

قام بجانب مذهب الاشتراكية الاقتصادى مذهب التيوصوفية الروحى وتعتبر مدام بلافاتسكى مؤسسة الصوفية الحديثة وهى روسية الأصل ابتدأت حياتها عندما هجرت روسيا ورحلت الى الهند فأخذت تدرس الحكمة الشرقية وتشبعت نفسها بالحكمة الروحية ، فكرست بقية حياتها فى نشرها رحلت الى أمريكا وهناك قابلت كوك أولكونت أحد الصحافيين المشتغلين بالعلوم الروحية فأسسا أول جمعية تيوصوفيه بنيويورك « ١٧ نوفمبر ١٨٧٥ » وكان الاخير رئيسا لها وكان غرضها:

١ — تكوين نواة للأخاء العالمى للانسانية بدون تمييز للجنسية والمعتقد والجنس والطبقات والالوان

٢ — تشجيع دراسة الآداب والأديان والعلوم الشرقية وعلى الخصوص الآريه

٣ — البحث عن قوانين الطبيعة الغامضة وقوى الأنسان الروحية

استمد مؤسسو الصوفية عقيدتهم من الفكر الدينى القديم وعلى الخصوص ما انتجته الهند ، وهم يحاولون أيضا أن يربطوا عقيدتهم بالتطورات الفلسفية الحديثة والفروض العلمية ، فأصبحت نظرتهم الدينية لنظرية التطور وفلسفة هيجل وللفلسفة العلمية وغيرها تكون مذهبا واحدا واذا تأملنا فى القطعة الآتية التى كتبتها آنى بيزانت أكبر مبشرة بالصوفيه . فقد نستطيع تكوين فكرة عن كنه التعاليم الصوفية

« إن الحياة والوجدان والكون ليست إلا مظاهر أو تجليات من مظاهر الله وتجلياته ، وهو واجب الوجود لذاته لايدرك الانسان كنهه ، وهو أزلى ، أما الكون فوائل يبقى ملايين من السنين ثم يزول ، ومن ثم يعود الخلق والزوال ، ويصدر الكون عنه بواسطة اتحاد الهيولى بالجوهر ، وبعبارة أخري باندماج السلب بالأيجاب ، وليس لأنهما منفصلان بعضهما عن البعض ، بل لأنهما

مفترقان افتراق كل من القطبين الايجابي والسلبي عن بعضهما فى المغناطيس ، حال أنهما موجودان فى كل ذرة من ذراته » . « وتكون مدة حياة الانسان فى هذه الدنيا متصلة بالطبيعة الأرضية فيه وذلك بواسطة العقل الذي هو قسمان :— قسم عال ، وآخر عادى ، فالعالى والعلوى يصعد إلى أعلى والعادى أو السفلى يطلب الأسفل ، أى يطلب الحياة ، وذلك لأنه ممتزج بالعواطف »

« وعند الموت تطلب الروح والنفس والعقل الانفصال عن الطبيعة الدنيا للأنسان فى حين يعود العقل السفلى ، الى مصدره ، وهو العقل العلوى ، يحمل معه ماتعلمه مدة حلول النفس فى الجسد ، وتظل هذه الثلاث . الروح والنفس والعقل مطمئنه الى ما أفاده العقل من الخبرة فى حال من الوجدان مريحة مستقلة عن الجسم الدنيوى وعن كل ما يتصل به من حدود وأوضاع وعوائق مختلفة ، وهذه حال تظل وفقا لدرجة الارتقاء التى يبلغها الانسان فى أثناء مقامه فى الأرض ثم تنتهى برجوع هذا الوجدان إلى الجسم أي بنقصه أو حلوله فى جسم ثان وهكذا »

لنتحدث الآن عن البهائية « وتعتبر أكثر المذاهب الدينية انتشارا فى القرن الماضى » نشأت البهائية فى أواسط القرن التاسع عشر على يد الباب الذى سار سيرة معظم الأنبياء إذ دعا دعوته فصار له أولياء وأعداء ثم قبضت عليه الحكومة فى تبريز وأعدمته فى ٩ يوليو سنة ١٨٥٠ وقتل أيضا كثيرون من تلاميذه الذين تحمسوا فى نشر دعوته ولكن هذا القتل زاد الدين الجديد انتشارا لأنه اكسب المقتولين سمة الشهداء وعطف عليهم القلوب ، وكان من تلاميذ الباب رجل يدعى الميرزا حسين على فوزى ولد سنة ١٨١٧ وقد لقب بعد ذلك بلقب بهاء الله واليه نسبت البهائية . قبض عليه أيضا سنة ١٨٥٢ فى طهران ثم نفى إلى بغداد مع سائر من نفوا اليها . ولكنه استطاع أن ينزل رفقاءه فى بغداد ويعيش منفردا ناسكا فى جبل يقع فى شمال الليمانية ، وفى هذا الأنفراد استطاع أن يجمع قوى نفسه ، ويتحد مع الطبيعة

وكأن الانفراد والعزلة والانعكاف خصال يحتاج اليها كل نبي أو مفكر لكى يزن نفسه أمام الطبيعة ويخاطبها ويتفاهم وهذا الكون الذي يحجبه عنه ضوضاء الناس وأحوال الاجتماع . وما أن قضى السنين ناسكا فى ذلك الجبل حتى الفى نفسه تثور به الى العمل فعاد الى بغداد وهناك وجد الجالية الفارسية المنفية التى استقبلته كأنه الزعيم بل النبي لهذا الدين الجديد ، ثم نفى البهائيون من بغداد إلى الاستانة ، وبينما هم فى الطريق وقد حطوا رحالهم للراحة خطبهم بهاء الله خطبة جاء فيها « يجب أن تكفوا منذ الآن عن نبز الناس بالكفر إذ ليس فى العالم كفار وإن الله خلق الناس كأنهم القطرات المنفصلة من ماء بحر واحد . اوهم الأوراق من شجرة واحدة ، فجميع الناس طاهرون ليس بينهم نجس ، وإن الباب لم يستشهد فى سبيل الفرس والأسلام ، بل فى سبيل جميع الناس

على السواء وقد مضى زمن الأديان وبزغ فجر الدين »

والبهائية دين لا يعتمد على سلطانه ، ولا يدعو الى عقائد يجزم بها ، وليس له كهنة يحمونه ، أو دولة تدافع عنه ، بل يقول بهاء الله أنه يجب على كل إنسان أن يؤمن بما يقتنع به . فالدين يجب أن ينبع بقوة الضمير من قلوبنا إلى السنتنا ولا ينزل بقوة السلطان من السنتنا إلى قلوبنا . ثم هو يقول إن الوحى لم ينقطع لأن الأنسان مايزال متصلا بالسماء. وتكاد تحسبه بعد العبقرى نبيا يوحى اليه ومن أعجب ملاحظاته قوله « إن الكاهن هو العدو الطبيعى للنبي لأنه يمنع تطور الدين وترقيته عند مايرى أن مصلحته تطالبه بلزوم الحرف دون الروح »

وخياله عن الله هو خيال المتصوفين المسلمين فهو يقول إن الله كان فى الذرة وإنما تتفاوت درجات الألوهية فى الناس . فكل انسان إنما هو إنسان واله معا تزدوج فيه الطبيعتان أو هما طبيعة واحدة

ويقول إن البعث الذى يراد به إحياء الأجسام بعد الوفاة إنما هو بعث وتجديد فى حياتنا الراهنة . والنبي هو ذلك الذى يبعث نفوس الناس ويجددها وهو هنا يوافق المسيح فى قوله « يجب أن تولدوا من جديد » وإنما الميلاد الجديد هو تجديد النفس وبعثها من خمولها السابق إلى يقظة الايمان

لنستعرض بعد ذلك البشرية وهى رابع المذاهب التى يتحدث عنها هذا الفصل

يعتبر أوجست كونت « ١٧٩٨ — ١٨٥٧ » أول المنادين بالبشرية وضع قانون التطور الفكرى ويتلخص هذا القانون فيما يلى : —

كان الناس فى بدء أمرهم ينسبون الظاهرات التى يشاهدونها إلى قوات غير منظورة يدعونها آلهة وهذا هو العصر اللاهوتى مع مختلف عقائده من حيث التوحيد والتعدد

ولكنهم لما رأوا أن الظاهرات تحدث على وتيرة واحدة لا تتغير ، وهذا لا يتفق مع الارادة المتغيرة ، اعتقدوا بوجود صفات خفية أو خواص أو سوائل جاذبة ، وهذا هو العصر النظرى

وأخيرا أخذ التأمل يبدد تلك الخطرات الفكرية المضطربة التى لا ترتكز على أساس ، ويبحث الفكر فى أسباب تلك الظاهرات التى تسبق أو تلائم حدوثها ، وهذا هو عصر العلم الوضعى

وقال ان الشيء الواقعى هو وحده موضع العلم ، لأنه وحده الذي يمكن تحقيقه بالاختبار . وربط أسبابه بمسبباته ، فالحوادث التى يمكن ملاحظتها هى الحوادث الظاهرة ، أما الحوادث الباطنة فلا يمكن معرفتها ، فالبحث عن العلل الفاعلة الغائية بحث مناف للعلم ، ولا يفهم من ذلك أن العلم يؤدى الى القول بالمادية وبالالحاد لأنه لا ينكر النفس ولا الله انما يجهلهما وأدى به القول أخيرا الى الاعتقاد بدين عام للانسانية

وجدت فكرة البشرية التى قال بها كونت كثيراً من المحبذين لها وخاصة من الفلاسفة ورجال العلم ، وذلك لأن البشرية ليست ديناً إلهياً ، بل غايته البشر وخدمتهم ومنفعتهم ، وليست له غاية أخرى كعبادة الله ، أو الخلود ، أو المكافأة بالجنة أو المعاقبة بالنار

وهذا الدين ليس حديثا فان اسمه الأوربى Humanism يرجع الى عصر النهضة وهو يقوم على درس الآداب القديمة والحديثة ويجعل من هذه الآداب مرداً للنفس البشرية تئوب اليه كما تئوب نفس المتدين الى القرآن أو الانجيل ، ولكن معنى هذه اللفظة فى تطور . فهو لم يكن يعنى فى عصر النهضة دينا جديدا يقوم مقام المسيحية ، وانما كان يعنى نزعة جديدة تنزع بالناس الى درس الكتب الوثنية والآداب بجانب الدين . أى أن الثقافة يجب ألا تقتصر على الدين والبحث حول المذاهب والاعتقادات المسيحية كما كان الشأن فى القرون الوسطى وانما يجب أن تتعداها الى درس الفلاسفة والأدباء

ولكن المعنى الآن يختلف لأنه يعنى الايمان بالانسان بدلا من الايمان بالله واستنباط الضمير الانسانى من الفلاسفة والأدباء والاجتهاد فى إسعاد الناس على هذه الأرض بدلا من أن يطمعوا فى سعادة الآخرة . والنزول على حقائق العلم

ويقول البشريون فى أساس الأخلاق . ان الفضائل ليست مراسيم إلهية . وإنما هى اختبارات إنسانية ، وهى فى تطور لاينقطع . فنحن نؤمن بالشجاعة والعفة والكرم والوطنية ونقول بالأسر والأمانة فى الحب وحرية المرأة والغاء الرق ومحو الاستعمار وتأسيس المؤسسات للابحاث العلمية ، والحض على قراءة الأدب والدعوة الى العدالة الاشتراكية ، وغير ذلك من الفضائل لا لأننا تناولناها من الدين بل لأننا وجدنا بالاختبار الانسانى أنها أشياء نافعة يجب أن نحض عليها ، وأننا نؤذى الهيئة الاجتماعية التى نعيش فيها إذا لم نمارسها

فالأساس المعقول للاخلاق عند البشرى هو الاختبار الانسانى وحسبه ذلك ويجب عليه ألا يبغى مايتجاوزه من سلطان إلهى ليقره عليه

يجب أن يكون الدين عملا لاصوفية ، فان الفرد لم يعد هو المسئول عن نفسه من حيث ذنوبه وجرائمه ونقصه الاخلاقى بمقدار مسئولية الهيئة الاجتماعية عنه لانه يسير مقيداً بقوانين بيولوجية واجتماعية واقتصادية ، وغيرها من العوامل التى تتحكم فيها الدولة ، لذلك تحولت حاجته للدين إلى الحاجة لمعونة الهيئة الحاكمة

مازال معتنقو المذاهب التى تحدثنا عنها يعملون نحو نشرها بكل الوسائل الممكنة ، ولو أنه لاينتظر لها نجاح عظيم يفوق ماأحرزته حتى اليوم من النصر

لا أن نصرها الحقيقى ينحصر فيما جنته الاديان من الفائدة بسبب ظهور هذه المذاهب ، فقد قام بها المصلحون ينادون بوجوب إحياء العقائد الموروثة والعمل على اصلاحها . ولنسمع الآن لما يقوله غاندى أكبر مصلح دينى عرفه العصر الحديث :

« لا أقبل أن أجعل من الدين اسماء ، وأن أفعل الشر باسمه المقدس فعقيدتى فى دينى لاتحملنى على تصديق كل كلمة وكل شطرة كأنما هى إلهام . وأرفض أن أقيد بتفسير ما مهما كان علمياً إذا كان لايتفق مع العقل أو الخلق »

« انى أجد فى دينى كل ما أحتاج اليه للتكشف الداخلى ، لأن دينى هذا يعلمنى الصلاة ولكنى أصلى أيضا حتى يجد كل انسان تكشفه الداخلى فى دينه وحتى يرقى المسيحى والمسلم فى دائرة دينه فيصير كل منهما أصلح مما كان . وانى واثق أن الله سوف يسألنا عن حقيقتنا وعن أعمالنا ولن يسألنا عن الاسم الذى تسمى به هذه الحقيقة أو هذه الاعمال »

ويقول تاجور فى حديث له :

« انه لمن العجب أن تكون الهند الأمة الوحيدة التى زودت العالم فى القرن التاسع عشر بأول رجل أممى ، أعنى به رام موهان روى . فقد كان هذا الرجل شغوفا بالحقيقة نشأ فى أسرة سنية من أسر البراهمة ، ولكنه تملص من جميع القيود والشعائر . وكان يدرس البوذية ، ورحل الي تبت لهذه الغاية ، ودرس العبرانية والعربية والفارسيه والانجليزية والفرنسية ، وساح كثيرا فى أوربا ، ومات فى برستول بانجلترا ، ولم يكن يفهم من الحقيقة الروحية تلك الشعائر التى تؤدى فى المعابد ، ولم يكن يعتقد أن هذه الحقيقة مما يجوز أن يسام الناس الايمان به على الرغم منهم وانما كان يعتقد أن هناك رابطة روحية تربط جميع البشر وأن غاية الدين هى الوصول الى هذا الاتحاد الأساسى فى العلاقات والجهود والأعمال الانسانية »

وفى ذلك يقول غاندى أيضا :

« ليس الدين الفكرة التى يخرج بها الأنسان بعد أن يقرأ كل الكتب المقدسة التى أتت بها أديان الارض ، انما الدين شيء لايدركه العقل ولكنه شيء يحس به القلب ، وليس الدين بشيء يهبط علينا من الخارج . بل شيء يتطور بتطور إحساساتنا الداخلية . وقد يعى البعض شيئا من هذا التطور ، ولكن الكثيرين لايعون منه شيئا ، وسواء أتطور الدين بوعى أم تطور من غير وعى فانه موجود دائما . وله فى كل الحالات الاثر الباقى فى كل أعمالنا »

لننظر الآن إلى أقوال بعض فلاسفة وعلماء العصر الحديث لنرى بأي منظار ينظرون الى العقيدة الدينية . يقول علماء الأرخولوجيا :

ليست قصة آدم وحواء . وغيرها من قصص الأديان إلا رموزا . تبرز للناس الحقائق السامية الشاملة التى تدعو اليها الأديان ويخلدها ضمائر البشر وبصائرهم . هذا هو الواقع ، وهذه هى طبيعة النفس الانسانية . التى تتمثل فى عقلية الجموع ، وأبناء الأديان جميعا . فالغاية هى التسامى بالنفس والايمان بالله . وبالحق وبالخير ، فلنتخذ فى ذلك الوسائل كلها ، مادامت هذه الوسائل لا تبعدنا عن غايتنا ، بزحزحتنا نحن عن هذه الغاية ، وبصيرورتها هى الغاية . لتكن الموسيقى والصور ، والتماثيل والتهاويل ، والأصوات الجميلة كلها فى خدمة الدين ولتستخدم فى اثارة الروح السامية فى الناس الذين شغلتهم حاجيات اليوم عن النظر فى أعماق النفس ، والانصات الى صوت الله ينبعث من أغوار القلب

ويتكلم برجسون فى فلسفته عن وسط تنطلق منه العوالم كالأسهم النارية وهو ليس شيئا جامدا ولكنه حياة مستمرة منطلقة حرة . هذا الوسط هو الله ، خلق المادة والحياة والانسان ، وقد وجدت فى الانسان قوة مبدعة من شأنها أن تتم عمل الله فى الخلق والابداع فكأن قوة الله المبدعة لا تنحصر فى ذاته ولكنها تمتد الى المخلوقات الراقية

ويرى برجسون أن الدين نوعان أحدهما الدين الاجتماعى الذى تؤلفه الأمة ببصيرتها وتنسج منه القصص والأخيلة التى تتمسك بكيانها الاجتماعى والآخر وهو الصوفية التى يحاول أن ينتقل بها الفرد عن الجماعة فى إيمانه الدينى ، ويقول برجسون إن الصوفية تنشأ من اعتماد الصوفى على بصيرته دون ذهنه وهى عندما يبالغ فيها تنتهى بالفصل بينه وبين الدنيا ، والصوفى هنا كالرياضى الذى يلعب بالأرقام حتى تنتهى به إلى أوهام لا علاقة لها بالواقع

والمغزى أن برجسون يؤيد البصيرة ويقول بتأييد أخلاق الجماعة ودين الجماعة . أما الفرد الذى يعتمد على ذكائه . أى عقله فهو يخشاه ويرى فيه عاملا للتفكك . وان كان فى بعض الاحيان ضروريا للرقى

ويقول جيمس جانز العالم الطبيعى الانجليزى — .

« اذا كان هذا الكون هو كون فكرى فان خلقه كان لابد عمليا فكريا . والحقيقة ان وجود حدود للزمان والفضاء يكاد يضطرنا وحده الى أن نتخيل هذا الكون باعتباره عملا من أعمال الفكر ويجب أن يكون الزمان والفضاء اللذان جرى فيهما هذا الفكر قد وجدا كأنهما جزء من هذا العمل . . . ومعارفنا الجديدة تضطرنا الى أن نراجع آراءنا التى تعجلنا فى ارتيائها والتى تقول بأننا انما قد وقعنا فى هذا الكون على غير قصد وان هذا الكون لا يبالى بالحياة بل قف منها موقف العداء . فانه الازدواج القديم عن العقل والمادة . وهو السبب لهذا الاعتقاد

بالعداوة . يبدو لنا أنه سيزول .. وذلك بأن تصير المادة مظهرا من مظاهر العقل بل عملا من أعماله ونحن نجد فى هذا الكون ما يدل على وجود قوة تضبطه وتديره وهذه القوة تشترك فى كثير من صفاتها مع عقولنا . وليس هذا الاشتراك فى العواطف والاخلاق والاحساس بالجمال . ولكن فى طريقة التفكير التى نسميها نحن تسمية ناقصة بالطريقة الرياضية »

ويرى ادنجتن « ان الشعور عنصر أساسى فى الكون فللانسان قيمته الكونية . لانه يتصل بالطبيعة عن طريق الشعور . ويظن فى بعض لمحات من اتصاله هذا انه يرى نظاما . وفى هذه اللمحات يعينه العلم بعض الشىء على تبين النظام »

ويرى أن المذاهب الدينية عوائق فى سبيل التوافق بين النظرة العلمية والنظرة التى يقال ان الدين يقتضيها ، فليس فى العلم عقيدة . ومن المستحيل انشاء دين قائم على العلم وحده كما يريد البعض أى دين يكون فيه كل اكتشاف علمى مظهراً جديدا من مظاهر صفات الله ، وذلك تخلصا من نظرية الخلق ، التى لا تتفق وما هو معروف من الحقائق العلمية . ثم يقول : يجب ألا تقيد الروح الحرة الباحثة ، عن الحقيقة بقيد ما ، فالعالم ينفر من اشباع البحث العلمى بالمعانى الدينية ، وليس ذلك لأنه شديد التعصب لمعتقده ، أو شديد النفور من الدين ، ولكن لأن هذا الاشباع يشوش عليه الأسلوب الذى يجرى عليه فى البحث ويلون الحقائق ، أو ما يظنه حقائق ، بألوان التفكير الشخصى ، والرغبة الخاصة ، فدين علمى كالمثال الميكانيكى للدماغ ، كلاهما غير مرغوب فيه . لأن الأمثلة الميكانيكية . تحول دون فهم ما هو وراء العالم المنظور »

كتب أينشتين فى احدى مقالاته عن الدين والعلم ، العبارة الآتية

بعد أن أشار إلى فكرة تزويد الله بالخصائص البشرية وهى الفكرة الموجودة فى أغلب الأديان « الأشخاص الموهوبون فقط أو الجماعات الراقية هى التى ترتفع عن هذه الفكرة وفى ذلك توجد درجة ثالثة للاختبار الدينى رغم انها نادرة الوجود بشكل مجرد . وانى أسميها الحاسة الدينية الكونية ومن الصعب تصويرها لمن لا يمارسونها لأنها لا تنطوي على تزويد الله بالخصائص الانسانية ، يشعر الفرد بغرور الرغائب والاغراض الانسانية ، وبنبل وعظمة النظام المتجلى فى الطبيعة وفى عالم الفكر وكذا يشعر بأن المصير الشخصى بمثابة قيد ، ثم يحاول الامتزاج بالوجود كله كوحدة تامة المعنى . والدلائل على هذه الحاسة الدينية الكونية ، يمكن وجودها فى بعض مراقى التطور القديمة فى أقوال بعض الاتقياء »

« وقد امتاز عباقرة الدين فى جميع الازمان بهذه الحاسة الدينية الكونية ، التى لا تعترف بمذهب أو بالله على صورة الانسان . فكيف يمكن نقل هذه التجربة الدينية من شخص الى آخر ، إذا

كانت لا تستطيع السير بنا إلى صورة محددة عن الله ، أو الى مذهب ما »

« ويلوح لى أن أهم وظيفة للفن وللعلم ، هى خلق وتعهد هذا الشعور فيمن يقبلونه ، وطبيعى ان الكنائس حاربت العلم دائما واضطهدت العلماء ، ولكنى أجزم من جهة ثانية بأن العاطفة الدينية الكونية ، أقوى وأنبل القوى المسيرة وراء البحث العلمى »

ثم يقول فى حديث له : —

« أن أجمل شىء نشعر به فى حياتنا هو تلك الصوفية الخفية ، فهى منبع كل فن وعلم حقيقيين ، ومثل من لا يغمره هذا الشعور ، ومن لا يستطيع أن يقف ليعجب فى رهبة كمثل الميت ، فهو حى يعيش بعينين مغلقتين ، وهذه البصيرة النفاذة إلى سر الحياة ، وان لازمها الخوف ، هى التى أوجدت الاديان ، ومعرفتنا أن مالا يمكننا احترافه أو الوصول اليه موجود فعلا وانه منجل لنا كأنه الحكمة العليا ، والجمال الفياض ، تستطيع ملكاتنا ادراكه فى أحط أشكالها البدائية ، هذه المعرفة وهذا الشعور هما فى صميم التدين الحق وبهذا المعنى . وبهذا المعنى فقط انتمى إلى صفوف المتدينين المخلصين »

« وانى لا أتصور إلها يكافىء ويعاقب خلائقه على أعمالهم — إلهاً قد حددنا أغراضه وأعماله على مثال أغراضنا وأعمالنا ولم تجعله إلا صورة أخرى من الضعف الانسانى . كما انى لا أعتقد ان الانسان سيعيش بعد موت جسمه ، ولو أن بعض ذوي النفوس الضعيفة يلجأون الى مثل هذه الافكار بدافع الخوف أو الغرور المثير للضحك ، وانه يكفينى أن أتأمل فى أسرار الحياة الخالدة وأن أفكر فى هذا التكوين العجيب للعالم ، الذى لا نستطيع أن ندركه ادراكا تاما ، وأن أحاول فى خضوع أن أدرك ولو جزءا دقيقا من ذلك الذكاء الذى نشاهده فى أعمال الطبيعة »

اتضح من الآراء التى عرضنا لها . ان علماء هذا العصر يمتازون بنزعة روحية . تختلف كثيرا عن النزعة المادية التى اتصف بها علماء القرن التاسع عشر . فلنحاول الآن تلخيص هذه الآراء

ليست الذرة سوى قوي كهربائية فى حركة دائمة وهذا الوجود المادى ليس إلا قوة وحركة ، وليس ثمة وجود لتلك الفروق التى نحس بها فى مختلف أشكاله ونواحيه. فليس هذا الوجود بمظاهره المتنوعة . الا سيالا متدفقا من القوة . بل هو مظهر من مظاهر الروح . وليس ما نحس به من مختلف الاجسام والصور . وجود حقيقى خارج الفكر . ولكن الحقيقة الوحيدة التى تدل عليها هذه الاشياء هى وجود احساسات متنوعة . كائنة فى الانسان مركزها الفكر وان هذا الوجود المادى ليس الا صورا منه لا حقيقة مطلقة . فلا وجود للنور والصوت والحرارة . خارج فكر الانسان ذلك لانها ليست سوى اهتزازات مختلفة السرعة والقوة . للاثير . يتأثر بها الفكر تأثرا خاصا .

فيطلق عليها هذه الاسماء ، فليس هـذا الوجود المادى الا فـكرة فى عقل الانسان ، ويتفاوت الانسان فى ادراكه باختلاف خاصيته واستعداده كذلك ، فالوجود المطلق فكرة فى العقل الاعظم وقد يصل بعض الاشخاص الممتازين الى هذه الحقيقة التى هى أرقى فكرة دينية ، فيبلغون درجة الشعور الدينى الصوفى وهو لاينطوي على تشبيه مادى للذات الالهية ، ولايشمل صورة للخالق وانما علاقة هذا الشعور ادراك مايأتى : —

١ — بطلان الرغبات الزائلة والاغراض الانسانية المتنوعة

٢ — جلال النظام المدهش الذى يتجلى فى عالم الطبيعة والفكر

٣ — تقيد مصير الانسان بهذا النظام الكونى العجيب

٤ — اعتبار هذا الوجود الكونى وحدة مشبعة بأسمى المعانى

مراجع الكتاب

نشوء الدين

Durkheim — Les Formes élementaires de le vie religieuse.
Grant Allen — The Evolution of the Idea of God.
Frazer — Tho Golden Bough.
Lende — The Psychological Origin & Neture of Relegion.
Morgan, B, D. — The Grey Dawn of Religion.

الديانة المصرية القديمة

Moret & Davy — Des Clans aux Empires.
Steindorff, G. — The Relegion of Ancient Egypt.
Smith, G. Elliot — In the Begiuning.

سلامه موسى — مصر أصل الحضارة

اليهودية

Abraham —, Israel — Judeism.
Fleg, Edmond — Anthologie Juive.
Josephus, Flavius — The Wars of the Jews.
Levine, Ephraim — Judaism.
Montent, Edouard — Histoire du Peuple d' Israel.
Renan, Ernest — Histoire du Peuple d'Israel.

اسرائيل ولفنسون — تاريخ اليهود في بلاد العرب

المسيحية

Bacon, Benjamin W. — The Making of the New Testament.

obeikandl.com

Cauly, Mgr — Histoire de le religion et de l'église.
Gibbon — The Decline & Fall of the Roman Empire.
Maycock, A. L. — The Papacy
Postel, V: — Histoire de l'église.
Robertson, J M — A Short History of Christianity
Yearsley, Maclead — the Story of the Bible

الاسلام

Dozy, R F A — Essai sur l'histoire de I,Islamisme
Margoliouth, D. S. — Mohammedanism

احمد امين — فجر الاسلام وضحى الاسلام
بندلى جوزى — من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام
الشيخ محمد الخضرى — محاضرات تاريخ الامم الاسلامية
عبد اللطيف الطهاوى — التصوف الاسلامى العربى
فان فلوتن — السيادة العربية . ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن
الكونت هنري دى كاستور — الاسلام . ترجمة أحمد فتحى زغلول باشا

مراجع عامة

Clemen, C. Les Religions du Monde.
Encyclopaedia Britaninca
Harmsworth History of the World
Huby — Cristus
Martihdsle, C C The Religions of the World
Sullivan & Walter Grierson Outline of Modern Belief

الشهرستانى ـ الملل والنحل
عمر عنايت ـ العقائد
نوفل ـ سوسنة سليمان — فى اصول العقائد والايمان